

دور علم أصول الفقه في حماية الدين والمجتمع الإسلامي من الإلحاد

Muhammad Yosef Niteh
Universiti Islam Selangor
Email: myosef@uis.edu.my

Maad Ahmd
Universiti Islam Selangor
E-mail: maad@uis.edu.my

Zainuddin Che Seman
Universiti Islam Selangor
E-mail: zainuddin@uis.edu.my

Mohd Rofaizal Ibhraim
Universiti Islam Selangor
E-mail: mohdrofaizal@uis.edu.my

الملخص

يلعب علم أصول الفقه دورًا محوريًا في صيانة وتطوير الشريعة الإسلامية، بما يضمن حمايتها من التآويلات المغلوطة والانحرافات الفكرية، ومنها ظاهرة الإلحاد. بفضل قواعده المنهجية، يوفر هذا العلم إطارًا رصينًا يمكن الفقهاء من استنباط الأحكام الشرعية بما يتماشى مع مستجدات العصر، مما يعزز استقرار المجتمع الإسلامي ويحميه من التأثيرات الفكرية السلبية. في السنوات الأخيرة، شهدت المجتمعات الإسلامية تزايدًا في انتشار ظاهرة الإلحاد، مدفوعة بعوامل متعددة منها التأثيرات الثقافية والفكرية العالمية، والتحول الاجتماعي. يبرز هنا التساؤل حول مدى فعالية علم أصول الفقه في التصدي لهذه الظاهرة وحماية الدين والمجتمع الإسلامي من تداعياتها السلبية. اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي، حيث تم استعراض وتحليل القواعد والمبادئ الأصولية التي يشتمل عليها علم أصول الفقه، وتطبيقاتها العملية في تفسير النصوص الشرعية والرد على الشبهات الفكرية. تم توظيف مجموعة من المصادر والمراجع الأساسية في علم أصول الفقه، إضافة إلى دراسة حالات تاريخية ومعاصرة أظهرت دور هذا العلم في مواجهة الإلحاد. أظهر البحث أن علم أصول الفقه يُعدُّ أداة فعالة في حماية الدين والمجتمع الإسلامي من الإلحاد، من خلال توفيره منهجية دقيقة للاستدلال الشرعي وتفسير النصوص الدينية. تُساعد هذه المنهجية في منع التآويلات الخاطئة والبدع، وتعزز الوحدة الفكرية والاجتماعية. كما يُمكن الاجتهاد الأصولي من تقديم حلول شرعية مبتكرة تتناسب مع التحديات الفكرية المعاصرة، مما يحد من انتشار الأفكار الإلحادية. يوصي البحث بضرورة تعزيز الدراسات الأصولية

وتطوير مناهج تعليم علم أصول الفقه بما يتناسب مع التحديات الحديثة. كما يوصي بتكثيف جهود الفقهاء والمفكرين الإسلاميين في الرد على الشبهات الفكرية والإلحادية باستخدام الأدوات الأصولية. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي دعم الأبحاث العلمية التي تتناول تطبيقات علم أصول الفقه في مواجهة القضايا الفكرية المعاصرة، لضمان استمرارية فعاليته في حماية الدين والمجتمع الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: أصول الفقه – الإلحاد – استنباط الأحكام – التحديات – حماية الدين .

1. المقدمة

علم أصول الفقه يُعد من أهم العلوم الإسلامية التي أسهمت بشكل كبير في الحفاظ على نقاء الدين الإسلامي واستمرارية تطوره بما يتناسب مع مستجدات الحياة. يركز هذا العلم على مجموعة من القواعد والمبادئ التي تُستخدم لاستخراج الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية، مثل القرآن الكريم والسنة النبوية. إن دور علم أصول الفقه في حماية الدين يتجلى في قدرته على توفير إطار منهجي يسمح للفقهاء والمجتهدين بفهم النصوص الشرعية وتأويلها بما يتناسب مع الواقع المعاصر، دون الإخلال بجوهر الشريعة الإسلامية. وبذلك، يضمن هذا العلم عدم وقوع الأمة في البدع والانحرافات، ويحافظ على وحدة الفكر الإسلامي وصموده أمام التحديات الزمنية والمجتمعية المختلفة. علم أصول الفقه يُعدُّ من أعمدة العلوم الإسلامية التي أسهمت بفاعلية في حماية وصيانة الدين الإسلامي عبر العصور. يُعنى هذا العلم بوضع القواعد والمبادئ التي يعتمدها الفقهاء والمجتهدون في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة إلى الإجماع والقياس وغيرهما من الأدلة الشرعية. إن منهجية أصول الفقه تُوفّر إطاراً شاملاً يتيح التعامل مع النصوص الشرعية بمرونة ودقة، مما يُمكن من تطبيقها على الوقائع المستجدة والمتغيرة في حياة المسلمين. أحد الأدوار الأساسية لعلم أصول الفقه في حماية الدين يتمثل في منع الانحرافات والبدع التي قد تُشوّه صفاء الشريعة الإسلامية. إذ يضع هذا العلم معايير واضحة للتفسير والاستنباط، ما يحثُّ من التأويلات الشخصية غير المنضبطة والتي قد تؤدي إلى تشويه معاني النصوص الدينية. وبذلك، يُحافظ علم أصول الفقه على وحدة الفكر الإسلامي وتماسكه، ما يُعزّز استقرار المجتمع المسلم.

علاوة على ذلك، يُسهم علم أصول الفقه في تعزيز الفهم العميق والمتوازن للشريعة الإسلامية، من خلال دراسة مقاصد الشريعة والاعتبارات الشرعية المختلفة. يُمكن هذا العلم الفقهاء من تقديم حلول شرعية تتماشى مع مستجدات العصر ومتطلباته، دون الإخلال بالأسس الدينية الراسخة. فمثلاً، يُساعد الفقهاء على التعامل

مع قضايا حديثة مثل التكنولوجيا والاقتصاد المعاصر والطب الحديث، بما يُحقق مصلحة الأمة ويحافظ على قيم الشريعة. كما أن علم أصول الفقه يُعزّز الاجتهاد والتفكير النقدي بين العلماء، ما يُساهم في إثراء الفقه الإسلامي وتنميته. بفضل هذا العلم، يستطيع العلماء التعامل مع التحديات الفكرية والثقافية المختلفة، وتقديم رؤى شرعية متجددة تُلبي احتياجات المسلمين في مختلف الأزمنة والأماكن.

2. مفهوم أصول الفقه و مفهوم الإلحاد.

علم أصول الفقه هو العلم الذي يبحث في القواعد والمبادئ التي يعتمدها الفقهاء لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية، مثل القرآن الكريم والسنة النبوية. يهدف هذا العلم إلى تقديم منهجية دقيقة ومتكاملة تُمكن الفقهاء من تفسير النصوص الدينية بشكل صحيح ومنظم، مما يساعدهم على استنباط الأحكام الشرعية المتعلقة بمختلف القضايا الحياتية. يتضمن علم أصول الفقه مباحث متعددة تشمل الأدلة الشرعية، طرق الاستدلال، القواعد الأصولية، والترجيح بين الأدلة عند تعارضها. (البيضاوي، 2020).

الإلحاد هو عدم الإيمان بوجود إله أو آلهة، ويتراوح بين الإنكار التام لوجود أي قوة خارقة للطبيعة، إلى الشك في وجودها دون الجرم بإثبات أو نفي. يُعرف الإلحاد أيضاً بأنه موقف فلسفي يعتمد على رفض الأديان والتفسيرات الدينية للكون والحياة. تختلف دوافع الإلحاد بين الأفراد، فقد تكون فلسفية، علمية، نفسية، أو اجتماعية. يُعتبر الإلحاد ظاهرة معقدة ومتعددة الأوجه، وتواجه المجتمعات الإسلامية بشكل خاص تحديات خاصة في التعامل مع هذه الظاهرة، بسبب التباين الثقافي والديني. (صليبا، 2022).

3. أسباب انتشار الإلحاد بشكل سريع.

هناك عدة أسباب أدت إلى انتشار الإلحاد بشكل سريع في المجتمعات الحديثة، ومنها:

● التطور العلمي والتكنولوجي:

- أدى التطور السريع في العلوم والتكنولوجيا إلى تقديم تفسيرات جديدة للظواهر الطبيعية والكونية التي كانت تُفسّر سابقاً بالاستناد إلى الدين. هذا قد جعل بعض الأفراد يشعرون بأن الدين لم يعد ضرورياً لفهم العالم. (سعد، 2023).

● التأثير الثقافي العالمي:

- العولمة وانتشار الثقافة الغربية التي غالبًا ما تُروَّج للفكر العلماني والإلحادي أثرت على الشباب في المجتمعات الإسلامية. وسائل الإعلام، الإنترنت، والأفلام والمسلسلات تلعب دورًا كبيرًا في نقل هذه الأفكار. (Niteh, 2014).

● الانتقادات الفلسفية والدينية:

- التحديات الفلسفية التي تطرحها نظريات مثل الإلحاد الجديد، بالإضافة إلى الانتقادات الموجهة للأديان والمؤسسات الدينية، أدت إلى زعزعة إيمان بعض الأفراد بالدين. (سعد، 2023).

● المشاكل الاجتماعية والسياسية:

- الأزمات الاجتماعية والسياسية، مثل الفساد، الاستبداد، وعدم تحقيق العدالة الاجتماعية، جعلت بعض الأفراد يشعرون بالإحباط وفقدان الثقة بالمؤسسات الدينية والسياسية التي لم تحقق توقعاتهم. (العميري، 2004م).

● التعليم والنظام التعليمي:

- التعليم الذي يركز بشكل كبير على العلوم الطبيعية والتكنولوجية دون دمج متوازن مع التعليم الديني والفلسفي قد يؤدي إلى نقص في الفهم الديني العميق، مما يُسهِّل انجراف البعض نحو الإلحاد.

5- دور أصول الفقه في التصدي للإلحاد.

علم أصول الفقه يقوم بتقديم تفسير متكامل للنصوص الدينية و يوفر منهجية دقيقة لتفسير النصوص الدينية بشكل يتماشى مع السياق الزمني والمكاني، مما يساعد في الرد على الشبهات والتفسيرات الخاطئة التي قد تقود إلى الانحراف. مثال ذلك عند مواجهة شبهة تتعلق بتفسير آيات الخلق في القرآن، يمكن استخدام قواعد أصول الفقه لتقديم تفسير يتماشى مع الاكتشافات العلمية الحديثة، مثل تفسير آية "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ" في ضوء علم الأجنة. (عمارة، 2015).

يساهم علم أصول الفقه في تعميق فهم الشريعة الإسلامية ومقاصدها، مما يمكن المسلمين من إدراك الحكمة وراء الأحكام الشرعية ويعزز إيمانهم حيث يشرح مقاصد الشريعة في حماية العقل والدين والنفس والنسل والمال فهذا يساعد في فهم لماذا تحرم الشريعة بعض الأمور وتفرض أخرى، مثل تحريم الخمر لحماية العقل والصحة العامة، وكذلك لمواجهة الشبهات الفكرية باستخدام قواعد الاستدلال الأصولي، يمكن للفقهاء تقديم ردود

علمية ومنطقية على الشبهات الفكرية والإلحادية، مما يساعد في تقويض حجج الملحدين ، و في الرد على شبهة تتعلق بحد الردة، من خلال تفسير النصوص المتعلقة بالعقوبة في سياقها التاريخي والقانوني وتوضيح الشروط والضوابط الشرعية لتطبيقها. وبتطوير الفقه الاجتهادي يتيح علم أصول الفقه للعلماء الاجتهاد في القضايا المستجدة، مما يوفر حلولاً شرعية تتماشى مع التغيرات المجتمعية والعلمية، ويظهر مرونة الإسلام وقدرته على التكيف مع العصر كإصدار فتاوى تتعلق بالتكنولوجيا الحديثة، مثل التبرع بالأعضاء أو استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، بالاستناد إلى القواعد الأصولية التي تراعي مصلحة الإنسان والمجتمع. (محمد، 2022).

أما بالنسبة للحفاظ على الوحدة الفكرية للمجتمع فعلم أصول الفقه يعزز الوحدة الفكرية من خلال توحيد منهجية استنباط الأحكام، مما يحد من الانقسامات الفكرية التي قد تستغلها التيارات الإلحادية لنشر أفكارها كاستخدام قواعد الترجيح في الفقه لتقديم رأي فقهي موحد حول قضية مجتمعية خلافية، مثل قضايا الزواج والطلاق، مما يعزز الوحدة الفكرية والاجتماعية. (عمارة، الغارة الجديدة على الإسلام ، 2020). ويجب الإهتمام بتعليم الأصول الشرعية و قواعد أصول الفقه للشباب والمجتمع فهذا يعزز وعيهم الديني ويمكنهم من التمييز بين التفسيرات الصحيحة والخاطئة، مما يقلل من تأثير الأفكار الإلحادية (<https://www.alukah.net>، 2024). كتنظيم دورات تدريبية للشباب حول مبادئ أصول الفقه وكيفية استنباط الأحكام الشرعية، مما يمكنهم من فهم الدين بعمق والتمييز بين التفسيرات الصحيحة والخاطئة. ومن جانب الحوار الديني والفكري يمكن لعلماء أصول الفقه أن يلعبوا دوراً رئيسياً في الحوار مع المفكرين والملحدين، باستخدام حجج عقلية ومنطقية مستندة إلى الأصول الشرعية بتنظيم ندوات ومناظرات مع مفكرين وملحدين، حيث يستخدم الفقهاء الأدلة العقلية والنقلية المستندة إلى أصول الفقه للرد على الأفكار الإلحادية بشكل علمي ومنطقي. (علي، Article (28, Volume 14, Issue 14, 2023).

ويجب وضع الثقة في المؤسسات الدينية من خلال تقديم حلول فعالة ومستندة إلى الفهم الأصولي للشريعة، حيث يمكن تعزيز ثقة المسلمين في المؤسسات الدينية وتقليل الانجراف نحو الإلحاد بسبب الإحباط من هذه المؤسسات مثل إصدار فتاوى تتعلق بقضايا اجتماعية معاصرة مثل العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، بالاعتماد على منهجية أصول الفقه، مما يعزز ثقة المجتمع في مرجعية المؤسسات الدينية. وبنشر الفكر الوسطي المعتدل علم أصول الفقه يشجع على الفكر الوسطي المعتدل بعيداً عن الغلو والتطرف، مما يساهم في خلق بيئة فكرية صحية تقلل من احتمالية انحراف الأفراد نحو الإلحاد. بإصدار فتاوى وبيانات تدعو إلى الوسطية والاعتدال في قضايا مثل حقوق المرأة والتعليم، مما يخلق بيئة فكرية صحية ويقلل من احتمالية انحراف الأفراد

نحو الإلحاد. ويمكن توضيح العلاقة بين العلم والدين باستخدام منهجية أصول الفقه، يمكن تقديم تفسيرات متكاملة للعلاقة بين العلم والدين، مما يساعد في إزالة التناقضات الظاهرية التي قد تدفع البعض نحو الإلحاد بعقد مؤتمرات وورش عمل تجمع بين علماء الدين وعلماء الطبيعة لمناقشة كيفية توافق الاكتشافات العلمية مع النصوص الدينية، مثل مناقشة موضوع التطور ونشأة الكون في ضوء القرآن والسنة. (الزقرد، 2017).

6- منهجية الاستدلال الأصولي ومواجهة الشبهات.

● تعريف الاستدلال الأصولي:

الاستدلال الأصولي هو منهجية تعتمد على قواعد علم أصول الفقه لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية. يتضمن هذا المنهج استخدام الأدلة النقلية (القرآن والسنة) والعقلية (الإجماع، القياس، وغيرها) بشكل منهجي ومنظم. (السدلان، 2020).

● أهمية الاستدلال الأصولي:

تلعب منهجية الاستدلال الأصولي دوراً محورياً في مواجهة الشبهات التي تُثار حول الدين الإسلامي، وذلك من خلال:

- تقديم تفسيرات دقيقة ومتسقة للنصوص الشرعية.
- توفير إطار منهجي للتعامل مع القضايا المستجدة والمتغيرة.
- تعزيز قدرة الفقهاء والمفكرين على تقديم ردود عقلانية ومنطقية للشبهات.

● خطوات الاستدلال الأصولي:

- جمع الأدلة الشرعية بتحديد النصوص المتعلقة بالمسألة محل الشبهة من القرآن والسنة و جمع أقوال العلماء والفقهاء المعبرين حول المسألة. (البيضاوي، 2020).
- تحليل الأدلة بدراسة سياق الأدلة النصية لفهم معانيها بشكل صحيح، و استخدام قواعد اللغة العربية لفهم النصوص بشكل دقيق.
- التفريق بين العام والخاص، والمطلق والمقيد بتحليل الأدلة لتحديد ما إذا كانت عامة أو خاصة، مطلقة أو مقيدة و تطبيق قواعد التخصيص والتقييد عند وجود تعارض ظاهري بين الأدلة.

- الترجيح بين الأدلة عند التعارض باستخدام قواعد الترجيح لتحديد أي الأدلة أولى بالاتباع عند وجود تعارض بينها و الاعتماد على مبادئ مثل قوة السند، دلالة النص، ومقاصد الشريعة. (محمد، 2022).
- الاستخلاص النهائي للحكم باستنتاج الحكم الشرعي بناءً على التحليل والترجيح و التأكد من أن الحكم المستخلص يتماشى مع مقاصد الشريعة الإسلامية.
- أمثلة على تطبيق الاستدلال الأصولي في مواجهة الشبهات:

❖ شبهة حد الردة:

- جمع النصوص المتعلقة بحد الردة من القرآن والسنة.
- تحليل سياق النصوص، مثل حديث "من بدل دينه فاقتلوه".
- تطبيق قواعد التقييد والتخصيص لفهم متى وكيف يُطبق الحد.
- تقديم تفسير يوضح الشروط والضوابط الشرعية لتطبيق الحد، وبيان الحكمة منه.
- ❖ شبهة حقوق المرأة في الإسلام:

- جمع الأدلة المتعلقة بحقوق المرأة من القرآن والسنة، مثل آيات المواريث وحديث "النساء شقائق الرجال".
- دراسة السياق التاريخي والاجتماعي للنصوص.
- استخدام قواعد أصول الفقه لفهم الفرق بين الأحكام القطعية والاجتهادية.
- تقديم تفسير يبرز تكريم الإسلام للمرأة وحقوقها المختلفة، والرد على الشبهات من منظور مقاصدي.
- دور الاجتهاد الأصولي في مواجهة الشبهات:

الاجتهاد الأصولي يُمكن الفقهاء من تقديم حلول شرعية للقضايا المستجدة، وذلك من خلال:

- الإفتاء في المسائل الحديثة:

- مثل قضايا البيوتكنولوجيا، حقوق الإنسان، والمسائل الطبية المعاصرة.
- استخدام القياس والاجتهاد الاستنباطي لتقديم حلول تتماشى مع الشريعة الإسلامية.
- التجديد الفقهي بتعزيز الفهم الصحيح للدين بما يتماشى مع تطورات العصر و تقديم رؤى شرعية تتجاوز الفهم التقليدي، مع الحفاظ على الثوابت الدينية.
- التحديات التي تواجه الاستدلال الأصولي:
-

- تعدد وتعارض الأدلة.
- صعوبة الوصول إلى الأدلة القطعية في بعض المسائل.
- الحاجة إلى اجتهاد متواصل لتفسير الأدلة في سياقاتها المختلفة.
- تأثير الفكر الغربي والعولمة على القيم والمفاهيم الإسلامية.
- ضرورة التكيف مع التحولات الاجتماعية دون التفريط في المبادئ الشرعية.

7. الخاتمة

منهجية الاستدلال الأصولي تمثل أداة قوية في مواجهة الشبهات الفكرية والإلحادية، من خلال تقديم تفسير منطقي ومنهجي للنصوص الشرعية، وتوفير حلول شرعية للقضايا المستجدة. يعزز هذا المنهج مناعة المجتمع الإسلامي ضد الأفكار الهدامة، ويساهم في نشر الوعي الديني الصحيح المبني على أسس علمية راسخة.

Bibliography

<https://www.alukah.net/sh>. ا. (2024).

.. *Pasak PPT* NIteh, M. Y. (2014). حقوق الإنسان في الفكر الغربي وأثرها على سلوك الفرد المسلم

UIS.

البيضاوي, م. ع. (2020). *منهاج الوصول*. بيروت: دار ابن حزم.

الزقرد, أ. ا. (2017). *الحماية المدنية من الدعاية التجارية الكاذبة والمضللة*. الإسكندرية: دار الجامعة الجديد.

السدلان, ص. ب. (2020). *أسباب الإرهاب والعنف والتطرف*. بالرياض: كلية الشريعة.

العميري, م. م. (2004). (موقف الإسلام من الإرهاب). الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

سعد, و. م. (2023). *مقاصد الشريعة الضرورية ودورها في مكافحة الإرهاب*. مجلة البحوث الفقهية

والقانون.

صليبا, ج. (2022). *المعجم الفلسفي*. الشركة العالمية للكتاب: بيروت.

علي, ع. ا. (Article 28, Volume 14, Issue 14, 2023). حماية المستهلك من الإعلانات الإلكترونية
المضللة في الفقه الإسلامي وقانون حماية المستهلك. مجلة قطاع الشريعة والقانون-2005, Page
2104.

عمارة, م. (2015). الغارة الجديدة على الإسلام،. القاهرة: (نخضة مصر للطباعة والنشر).

عمارة, م. (2020). الغارة الجديدة على الإسلام . القاهرة: (نخضة مصر للطباعة والنشر).

محمد, ا. ع. (2022). المهذب في أصول الفقه - . الرياض: مكتبة الرشد.